أبناء الخطيئة

07/04/2010

نالحظ أن مجتمعاتنا العربية تعاني من ثقافة عقدة ذنب راسخة بشكل قوي في أسسنا الدينية، فنحن أحفاد ثقافة صلب

الذات وجلد المعرفة، أصحاب الخطيئة االولى المنغرسة في أعماقنا، ثقافتنا ثقافة النار والعذاب المتأصلة في عقولنا

ورغباتنا، ثقافة بنيت على مر الزمن لترسخ عقائدها وعاداتها ومفاهيمها الثابتة فال تتباطأ في تجريم الجهود

والمحاوالت الهادفة في تليين هذه الثقافة، لترمى بأسهم المازوشيين الرافضين ألي تغيير أو تجديد، علمتنا ثقافتنا أن

نرضخ للذل وأن نحارب العلم والمعرفة وأن نستهين بذاتنا كي نمارس عملية القمع بشكليه الجماعي والفردي. فما هو

السبب الرئيسي لهذه الثقافة؟

ف

الشك أن الجماعة لعبت دورا ي تأطير الفرد ضمن قوانين وعادات تبلورت مع الزمن وتحولت إلى مفاهيم مهما

لضمان كيانها ووجودها، متجاهلة بذلك رغبات االفراد. ومن أجل الحد من دينية رادعة ألية محاولة تمرد وذلك

ما بين اكتفاء الذات

نفسيا

رغباتهم لجأت الجماعة إلى ترسيخ فكرة القضاء والعقاب عند ألفراد لتشكل لهم ضغطا

وبين الصور المشحونة بمشاعر الخوف والرعب القابعة في الوعي ألفراد، فنتج عن هذه المعركة الداخلية شعور

بالذنب. فكلما أراد الفرد تحقيق اكتفاءاته تنتابه موجة رادعة تنبثق من صوره الداخلية المتراكمة منذ صغره لتجتاحه

عن الفهم وي

، فيقف عاجزا

كليا شعر بالشلل تجاهها. هذه المشاعر انعكست في البدء على أساطيره لتتقمص بعدها

دينية، مما أدى إلى أن يكتسب هذا االنعكاس المطروح من الغنسان قوة

نصوصا خارجية تكبح األفراد وتقمع أية

.محاولة فردية تسعى للتحرر من تلك القوة

تولت الجماعة القيام بهذه المهمة. فنراها تحارب جميع األفراد المنعتقين من القيود والسالسل الجماعية، لترتدي ثوب

الجالد الجاهل لكل العلوم والمعارف واألحداث التاريخية، مما يعكس في أنفسنا أزمة أخرى ليتم اختالط المفاهيم

واألخالقيات كي يعيش الفرد حياة كاملة خلف أقنعة وهمية. فنراه يمارس دعارته األخالقية بشكل ضمني، ويقوم بقلب

الموازين وتزوير تاريخه المليئ باالنتكاسات ليحولها في مخيلته إلى انتصارات. أعتقد ان المشكلة الرئيسية لدى هذه

.المجتمعات تكمن في خوفها من مواجهة الذات وعجزها عن المصالحة مابين الرغبات الفردية والمصلحة الجماعية

نجد ان الثقافة الجماعية العربية قائمة على شحن األفراد بإنفعاالت وهجيان دائم، فإدراكنا يعجز عن التقاط اأحاسيس

بترجمتها الحقا القدرة على تنظيم بشكلها المنتظم للقيام ، فنصبح عبارة عن مشاعر عشوائية مختلطة فيما بينها ينقصها

.الذات، وإذا حاولنا ترتيب بعض اأمور تتناولنا اإلتهامات والشتائم

أحاول جاهدة البحث عن أسباب اإلنفعاالت المنغلقة على نفسها الخائفة من هجوم خارجي يقتلعها من جذورها، فأحاول

تفهم هذه المشاعر إال انني مضطرة إلى معرفة أسباب تواطؤ األلرض والكون على هذه البقعة المشؤومة منذ زمن بعيد

ألغرق في البحث عن إبداعاتنا فال أرى إال فشلنا. فأذهب باحثة عن أخالقياتنا فال أجد إال عدمها، فأوهم نفسي في

على تاريخ مضى ولم يبقى منه أثر.

ولطما

ضرورة البحث فربما كنا أصحاب علوم وافرة فال أسمع إال بكا ء ونواحا

فنحن من حطمنا أثارنا االنسانية وأعدمنا التجارب المتراكمة وتشبثنا بصنع قناع واحد للجميع مفرغ من أي فحوى أو

.مغزى الستمرارنا في هذه الحياة

تشتد علينا وتيرة الخوف فنلجأ إلى العراك والعنف تجاه آالخر. فنحن جاهزون للمحاكمة السريعة واإلعالن عن

أحكام جاهزة نستخرجها من أدراجنا الثقافية. فكيف يمكننا أن ندعي الفهم والمعرفة إن كنا عاجزين عن فهم ذواتنا

وتحليل المعطيات الداخلية والخارجية. و إذا درسنا حالتنا المتناقضة والمستمدة من ثقافتنا القائمة على غسل االدمغة

وتشويه المعلومات وتزوير الحقائق فعلينا عدم استغراب تحول األلفراد إلى آالت غيرقادرة إال على تخزين المعلومة

.من دون فهمها أو معالجتها. فنحن أبناء ثقافة ناسخة للغيرعاجزة عن تحويل قدراتها إلى انتاج إبداعي

إنها معركة بين الفرد المتطلع إلى ممارسة حقه االنساني في الحرية الفردية، التفكير والسلوك المستقل، وبين قهر

وقمع الجماعة التي تريد محو فرديته وإنسانيته في زحمة القطيع وتدجينه وفق قوالبها كي تشعر باألمان والطمأنينة

على ثوابت وتقاليد ومعتقدات الجماعة، انها

وخطرا

من خطر تحرره، فالحرية الفردية تشكل بإستمرار تهديدا

!قصة المعركة الأزلية بين الأحرار وعبودية الجماعة